المحاضرة الخامسة: طرق الري والثروة الحيوانية

هدف المحاضرة 5- أن يتعرف الطالب على أساليب وطرق الري في المجال الزراعي، وكذا الثروة الحيوانية التي كانت تزخر بها الجزائر خلال العهد العثماني ويحدد أمكنة تواجدها

طرق الري :

قال سعيدوني في هذا المقام : " الأساليب البدائية حالت دون التعرف على مزايا المراعي ... ولم تساعد على إنشاء

السدود و الالتجاء إلى الزراعات المسقية ، باستثناء ما قام به الفارون من الأندلس في ق 10هـ / 16م من تنظيم ري

بعض الأراضي مثل الحقول الواسعة على الوادي الكبير قريبا من البليدة (مدينة الورود التي أنشأها الأندلسيين) ، أو

المجاورة لمدينة الجزائر، و ما شيده الآغا يحي من سدود في بنواحي التيطري مثل : سد وادي اللحم الذي استقدم لبنائه

بنائين مهرة من جهات القبائل .فإن تنظيم الري و الانتفاع بالمياه الجوفية والمجاري المائية كان لا يتعدى إقامة الحواجز

البسيطة المقامة من الطين و الأخشاب التي لا تقوى على وضع حد للفيضانات ، ولا تسمح بتخزين المياه للانتفاع بها في

الزراعة ، و قد أقام الأهالي سدودا بسيطة على روافد نهر الشلف مثل المينا ، سيق ، الهبرة و واصل و الصومام " .

و يقول حليمي عبد القادر في هذا الشأن أيضا : "...لم تقم حكومة الدايات ببناء السدود و إجراء السواقي و توفير مياه

الري في البوادي ، بل كانت مياه الأمطار تترك على حالها لتضيع في البحر أو في المستنقعات دون أن يستفيد منها

الفلاحون و سكان البلاد في الاستغلال الزراعي ..." .

و لنا في هذا المقام أيضا : " زراعة الكروم توسعت قليلا عما كانت عليه من قبل ، و ذلك بعد هجرة الأندلسيين

بالخصوص إلى مدينة الجزائر، فهم الذين وسعوا هذه الزراعة و كان لتقدمهم الحضاري أثر على حث سكان الإقليم على

زراعة الكروم ... و انتشرت البساتين في حي الأبيار ، بير مراد رايس ، بئر خادم و الحامة بالخصوص ، و هي أحياء

تتوفر بها مياه الري من العيون الطبيعية و الآبار العديدة ، و قليلا ما كان الزائر لفحوص المدينة يشاهد دارا من غير

حديقة ، بل أن كل منازل الفحوص كانت تحيط بها سياجات من النباتات الشوكية ، و داخل هذه السياجات عيون و آبار

لري حقول الخضر من بطيخ و فاصولياء وباذنجان ..." .

<u>الثروة الحيوانية :</u>

إنّ تربية الحيوانات كانت تحتل جانبا عظيما من الاقتصاد الوطني ، ذلك أن أغلب السكان توجهوا إلى تربية الحيوانات

بدرجة أولى لأنها حرفة تلائم عدم الاستقرار، و تُمكن أهل الريف من التهرب من الضرائب الباهضة المفروضة عليهم

وهي ضرائب تُؤخذ عينا في كثير من الأحيان . و من أنواع الحيوانات التي كانت تُربى نذكر : الأغنام ، الماعز، الأبقار

و الحمير ... و قد استغلت أغلب هذه الأنواع الأخيرة في الجر و النقل لأنها تتحمل التعب و تتكيف و مناخ المناطق التي

وجدت بها ، و إن كان ينقصها التهجين و انعدام المراعي الاصطناعية و العلف الاحتياطي ، كما حد من تكاثرها الجفاف

و انتشار الأمراض و التنقل الصعب عبر المناطق الجبلية و الصحراوية بين فصلي الصيف و الشتاء (و أحسن مثال

قبيلة أولاد عبد النور بالشرق الجزائري).

و الحقيقة الواجب ذكرها أن هذه الحيوانات وفرت كميات كبيرة من الوبر و الصوف و الجلود ، و التي كانت تصنع منها

الخيام و الملابس و تصدر للخارج عن طريق التجار الأوربيين و اليهود .

و الجدير بالذكر أيضا أن معظم القبائل و الأعراش كانت حيواناتها مصدرا رئيسيا لمدخولها مثل النمامشة التي كانت

تعتمد أساسا على تربية الأغنام و الجمال في مجال رعوي قدر بحوالي 2 مليون هكتار . و هي كالتالي :

32000 خروف / 1000 عنزة / 1000 بقرة / 2000 بغل / 700 حصان / عدد ضخم من الجمال

.

و قد اشتهرت العديد من القبائل بامتلاكها أنواعا أصيلة من الخيول مثل : الأرباع ، أولاد نايل و قبائل في نواحي الشلف

و انقاذ ، بالإضافة إلى خيول حميان و اليعقوبية بجنوب معسكر . و عادة تتصف هذه الخيول بصغر حجمها و عصبية

طبعها لكن مع سرعتها و شدة مقاومتها .

و لا بأس في هذا المقام أن نذكر بعض الإحصائيات الفرنسية للحيوانات و إن كانت تقريبية و غير دقيقة :

6.850.205 رأس غنم / 3.384.902 رأس ماعز / 1.031.738 رأس بقر / 213.321 جملا و ناقة

178.864 حمارا / 131.035 حصانا / 109.069 بغلا .

و للإشارة أيضا أن السكان ظلوا يفضلون استهلاك لحوم الأغنام المتوفرة بكثرة عكس الأسماك التي كانت ثروة هي

الأخرى تتوفر عليها السواحل الجزائرية و التي لم تشجع الصيادين على الاستغلال الجيد لهذه الثروة ، و قد أشارت

بعض المصادر أن صيادي دلس كانوا يضطرون في كثير من الأحيان إلى رمي ما يصطادونه من السمك في البحر لعدم

إقبال السكان عليه .